ولكم إذا قرت المضاجع وهجع الهاجع تذكار يوقظ النائم ويونس القائم
وما ابتسم ثغر فجر ولا بزغ في برد ولاح إلا ولتأذينكم في الأسحار دوي
كدوي الريح في البحار وهذا صدع عنكم النقل وأخبر النبي عليه السلم من قبل
وبين أن دويكم بالأسحار كدوي النحل فبشرا لكم ببشارة المصطفى وواها
لمصركم الذي عفا ولم يبق منه إلا شفا ثم إنه خزن لسانه وختم بيانه حتى حدج
بالأبصار وقرف بالاقتصار فتنفس تنفس من قيد لقود أو ضبثت به براثن أسد
ثم قال أما أنتم يا أهل البصرة فما منكم إلا العلم المعروف ومن له المعرفة
والمعروف وأما أنا فمن عرفني فأنا ذاك وشر المعارف من أذاك ومن لم يثبت
عرفني فسأصدقه صفتي أنا الذي أنجد وأتهم وأيمن وأشأم وأصحر وأبحر
وأدلج وأسحر نشأت بسروج وربيت على السروج ثم ولجت المضايق وفتحت
المغالق وشهدت المعارك وألنت العرائك واقتدت الشوامس وأرغمت المعاطس
وأذبت الجوامد وأمعت الجلامد سلوا عني المشارق والمغارب والمناسم والغوارب
والمحافل والجحافل والقنابل والقبائل واستوضحوني من نقلة الأخبار ورواة
الأسمار وحداة الركبان وحذاق الكهان لتعلموا كم فج سلكت وحجاب هتكت ومهلكة
اقتحمت وملحمة ألحمت وكم ألباب خدعت وبدع ابتدعت وفرص اختلست وأساد فرست

وكم مخلوق غادرته لقى وكم من استخرجته بالرقى وحجر سحرته حتى انصدع واستنبطت
زلاله بالخدع ولكن فرط ما فرط والغصن رطيب والفود غربيب وبرد الشباب
قشيب فأما الآن وقد استشن الأديم وتأود القويم واستنار الليل
البهيم فليس إلا الندم إن نفع وترقيع الخرق الذي قد اتسع وكنت رويت في
الآثار المسندة والأخبار المعتمدة أن لكم من الله تعالى في كل يوم نظرة
وأن سلاح الناس كلهم الحديد وسلاحكم الأدعية فقصدتكم أنضي الرواحل
وأطوي المراحل حتى قمت هذا المقام فيكم ولا من لي عليكم إذ ما سعيت إلا في
حاجتي ولا تعبت إلا لراحتي ولست أبغي أعطيتكم بل أستدعي أدعيتكم ولا
أسألكم أموالكم بل أستنزل سؤالكم فادعوا الله تعالى بتوفيقي للمتاب
والإعداد للمآب فإنه رفيع الدرجات مجيب الدعوات وهو الذي يقبل التوبة عن
عباده ويعفو عن السيئات ثم أنشد

أستغفر الله من ذنوب أفرطت فيهن واعتديت
كم خضت بحر الضلال جهلا ورحت في الغي واغتديت
وكم أطعت الهوى اغترارا واغتلت والختلت وافتريت
وكم خلعت العذار ركضا إلى المعاصي وما ونيت

Copyright © King Saud University